جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية السنة الاولى جدع مشترك علوم انسانية

د-عباسي يزيد

السداسي الثاني 2019-2020

المدرسة الوظيفية L'école Fonctionnelle

Le fonctionnalisme

عناصر المحاضرة:

1-التعريف بالمدرسة الوظيفية

2-تاريخ و رواد المدرسة الوظيفية

3-التصور المنهجي للمدرسة الوظيفية .

3-1:المنطلقات و الافكار الأساسية للمدرسة الوظيفية

3-2:اجراءات التحليل الوظيفي .

3-3: نسق التفسير الوظيفي .

*قائمة المراجع

المدرسة الوظيفية L'école Fonctionnelle:

تعريف الوظيفية(fonctionnalisme): أصل الكلمة: وظيفي ، قادم من الكلمة اللاتينية **functio** و تعني الإنجاز و التنفيذ.

اصطلاحيا الوظيفية: مصطلح الوظيفية عبارة عن مجموعة من تيارات الفكر في مجالات الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والسياسة و علوم الاعلام و الاتصال... إلخ. التي تحدد وتسلط الضوء على الوظائف المختلفة للنظام لتحليلها وفهمها. على وجه الخصوص حيث يشكل المجتمع وفقها نظامًا متكاملًا يلعب فيه كل جزء دورًا أساسيًا فيما يتعلق بالكل.

يحدد كلود ريفيير في مؤلفه "مقدمة في الأنثروبولوجيا " جوهر الفكر الوظيفي الذي يضع الحقائق الموصوفة في سياقها الاجتماعي ، من أجل تفسيرها ، ثم شرحها من هدا المنظور الظواهر الاجتماعية تعرف بالمجموع الذي تتكون منه والذي يفترض فيه أن يكون لكل جزء وظيفة واحدة أو أكثر بالإضافة إلى العلاقات مع كل عنصر من عناصر الكل أو المجموع "(Rivière, 2013) .

و المنطلق التأسيسي للوظيفية مأخوذ من الأعمال الأنثروبولوجية و السوسيولوجية التي غالبًا ما تأثرت في نهاية القرن التاسع عشر بالمماثلة(المشابهة) العضوية(analogie organique) المقصود بها مماثلة طريقة تطور المجتمع من الشكل البسيط إلى الشكل المركب بالطريقة التي ينمو بها جسم الكائن الحي (خلف عبد الجواد، 2009) .

من وجهة النظر هذه المجتمع أكثر من مجموع أجزائه. كما هو الحال في الجسم الحي ، يؤدي كل جزء (الأسرة والمدرسة ...) دورًا محددًا ويساهم في حسن سير النظام الاجتماعي.

الوظيفية هي نظرية علم الاجتماع والأنثروبولوجيا التي تقترح قراءة لاشتغال المجتمع على أساس العناصر التي تضمن استقراره. يشير مفهوم الوظيفة إلى الدور الذي يلعبه "العضو الاجتماعي" (المؤسسة) في منظومة اجتماعية معينة(Wikipédia, 2020) .

وضعت هذه النظرية في البداية من قبل برونيسلاو مالينوفسكي ثم درسها روبرت ميرتون وتالكوت بارسونز ، وتشكل هذه النظرية مصدرًا رئيسيًا للإلهام لكثير من العلماء و الباحثين في ميدان العلوم الاجتماعية و الانسانية .

في علم الاجتماع ، كانت الوظيفية واحدة من النظريات السائدة في القرن العشرين. علم الاجتماع الوظيفي يدرس المجتمعات من خلال المؤسسات المكونة لها هده الاخيرة حسب رأي الوظيفيون تهدف لضمان استقرار المجتمع وتنظيم السلوكيات الفردية من خلال الأدوار و المكانة.

في علوم الاتصال ، ظهرت النظرية الوظيفية في بداية القرن العشرين. وفقًا لمفهومها ، فإن وسائل الاتصال دائمًا ما تحرص على إحداث تأثير على المتلقي والحصول على رد فعل منه (الهدف هو إقناع / إقناع المتفرجين). من ناحية أخرى ، لدى المستقبلين مجموعة كاملة من الاحتياجات والتوقعات التي يجب أن تلبيها وسائل الإعلام.

2-تاريخ المدرسة الوظيفية و روادها:تعود جذور المدرسة الوظيفية إلى مرجعيات فكرية **(النظرية التطورية)**طبعت المعرفة العلمية في نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين .

بالاضافة إلى جهود مجموعة من العلماء شكلوا الرعيل الاول من روادها ليلحق بهم مجموعة شكلت النضج و السيطرة الحقيقية لهده المدرسة على الملمح النظري في ميدان العلوم الانسانية و الاجتماعية حتى نهاية ستينيات القرن الماضي

***الجذور الأنثروبولوجية:** استخدمت الوظيفية كنظرية لأول مرة من قبل برونسيلاو مالينوفسكي **Bronisław Malinowski(1884-1942)** في كتاب **مغامروا غرب المحيط الهادئ 1922م The Argonauts of the Western Pacific** ، وهو نتاج عمل طويل من ملاحظة المشاركين فيه قام به في جزر **التروبرياند Trobriand**. بالنسبة إلى عالم الأنثروبولوجيا هذا ، فإن مفهوم الوظيفة ضروري لفهم أي مجتمع بشري.

بالنسبة له ، وظيفة كل الحقيقة الاجتماعية هي الاستجابة لاحتياجات المجتمع بما في ذلك معظم الاحتياجات الأولية،يستخدم **Bronisław Malinowski** المماثلة العضوية لتوضيح وشرح الظواهر الاجتماعية. في الواقع برأيه يشكل المجتمع مجموعة كاملة تتكون من أجزاء مختلفة تحافظ على العلاقات العضوية بينهما.

و يرى راد كلف بروان **Radcliffe-Brown (1881-1995)**عالم انثروبولوجيا بريطاني أن الوظيفية تعني محاولة رؤية الحياة الاجتماعية باعتبارها كلا اجتماعيا أو باعتبارها وحدة وظيفية و أذا كانت وظيفية القرن التاسع عشر ترى أن المجتمع هو وحدة كلية وظيفية فإن الوظيفية المعاصرة ترى أن المجتمع هو نسق**(système)**،و النسق هو أداة تصورية ترى المجتمع على أنه يتألف من

مجموعة من العناصر المترابطة مع بعضها البعض ،تتحدد علاقتها في اطار الكل بمجموعة من المبادئ التنظيمية التي تستند إلى التساند الوظيفي و التفاعل بين أجزاء النسق وبعضها البعض **(شحاتة، 2008)**.

***الجذور السوسيولوجية**:للوظيفية أصول سوسيولوجية خاصة في اسهامات هربرت سبنسر **Herbert Spencer(1820-1903)**حيث تعتبر اسهاماته النظرية الرافد الاول للوظيفية وهو أول من طبق بشكل منهجي مفاهيم البنية **(Structure)**و الوظيفة **(Fonction)**.

قد أشار إلى ذلك في إحدى مؤلفاته بأنه لا يمكن أن يكون هناك فهم حقيقي للبنية دون فهم حقيقي لوظيفتها و أشار إلى أن المجتمعات متناظرة مع الكائنات البيولوجية لأن التباين التقدمي للبنى في مسار نموها مصحوب بتباين تقدمي للوظائف وفي المجتمعات المتخلفة تكون كل أجزاء المجتمع متماثلة في طبيعتها و نشاطاتها و بالتالي فهي تؤدي نفس وظائف المجموع بينما في المجتمعات المتقدمة تؤدي كل بنية متمايزة وظيفة محددة لدعم الكيان الاجتماعي **(تومبسون، إليس، و فيلدافسكي، 1997)** .

وهناك رأي لأنصار الوظيفية يرى أن **إميل دوركهايم (1858-1917)**هو أول من استخدم الوظيفية بالمعنى المنهجي و ذلك في مؤلفه **قواعد المنهج في علم الاجتماع 1898** حيث أكد على ضرورة تحليل وظائف المؤسسات و الممارسات الاجتماعية .

ويشترك مع سابقه سبنسر في النظرة الوظيفية للمجتمع في مؤلفه **(تقسيم العمل في المجتمع De la division du travail social 1893)** حيث تسائل فيه عن كيفية تماسك المجتمع الحديث في ظل غياب الاجماع أو الادراك المشترك الذي كان يربط النظم الاجتماعية البدائية ويتوصل إلى إجابة مضمونها أن تقسيم العمل القائم على التخصص الوظيفي هو الذي يحل مكان الادراك المشترك لهدا يسمي المجتمع الحديث بالمجتمع المتضامن عضويا.

خلال تطور المدرسة الوظيفية ارتبط انتشارها في ثلاثينيات القرن الماضي بمؤلفات **تالكوت بارسونز Talcott Parsons(1902-1979)** حيث تجاوزت أعماله**(بنية الفعل الاجتماعي The Structure of Social Action 1937)** الوظيفية الكلاسيكية (المنظور الانثروبولوجي) و اشتملت على توجهين تمثل الأول في محاولة لبناء نظرية الفعل و التوجه الثاني نظرية النسق الاجتماعي.

كما يعد **روبرت ميرتون Robert Merton(1910-2003)** من رواد المدرسة الوظيفية الذين حاولوا حل بعض المشكلات المعرفية و المنهجية التي انطوت عليها الوظيفية وذلك من خلال مساهمات نظرية و ميدانية في أعماله منها (1949**Social Theory and Social Structure النظرية الاجتماعية**

و البنية الاجتماعية)،(1942The normative Structure of Science البناء المعياري للعلم)

ومن أهم اسهاماته دراسة (الوظائف الظاهرة و الوظائف الكامنة Manifest and Latent Functions)و كذلك اختيار مفاهيم وسطى يمكن ربط معانيها بمؤشرات في الواقع من خلال تعاريف اجرائية لدرجة أن تشكل دراسة العلاقة بينهما ما اصطلح عليه ميرتون نظريات متوسطة المدى Middle Range Theories هده النظريات حسب ميرتون تتوسط بمداها دراسة الفرضيات الصغرى الجزئية وتلك النظريات الشاملة القائمة على التأمل و التجربة العقلية **(عيسى عثمان، 2008)**

3-التصور المنهجي للمدرسة الوظيفية .

3-1:المنطلقات و الافكار الأساسية للمدرسة الوظيفية :تنطلق المدرسة الوظيفية من مجموعة أفكار هي :

*اعتبار الأشياء ،الكائنات الحية و الكائنات الاجتماعية ،الجماعات ،التنظيمات المختلفة(الأسرة ،المؤسسة ،الحزب السياسي ،الجمعيات ....إلخ)على أنها نسق أو نظام système و هدا النسق بدوره يتألف من مجموعة من الأجزاء المترابطة و القائمة على درجة من الاعتمادية (interdépendance)او الاعتماد المتبادل.

*لكل نسق أو نظام (النسق الثقافي ،النسق الشخصي المرتبط بالجوانب النفسية و السلوكية للفرد ،النسق الاجتماعي ،النسق العضوي المتعلق بالجانب العضوي و الحيوي للفرد)احتياجاته الأساسية عليه تلبيتها .

*النسق أو النظام يجب أن يكون في حالة توازن أو استقرار و ذلك لا يتأتى إلا من خلال تلبية أجزاءه الفرعية لاحتياجاته أو متطلباته.

*قد تكون أجزاء النسق وظيفية أي أنها تسهم و تعمل على توازنه و استقراره و قد تكون غير و ظيفية أي ضارة تؤدي الى إضعاف توازنه،و قد تكون غير وظيفية أي لا قيمة و لا فائدة لها بالنسبة للنسق.

*تتحقق حاجات النسق بواسطة تغيرات أو بدائل .

*وحدة التحليل بالنسبة للمدرسة الوظيفية هي الأنشطة أو النماذج المتكررة.

3-2:اجراءات التحليل الوظيفي : تتضح أهمية التحليل الوظيفي في كونه يعى إلى الكشف عن كيفية مساهمة أجزاء النسق الكلي (المجتمع)في تحقيق هدا الأخير لاستمراريته أو مدى اضرار هده الاجزاء بالنسق ككل و اعتبارها لاوظيفية **(بودون و بوريكو، 1986)**.

و يعتمد التحليل الوظيفي على جملة من الاجراءات المنهجية هي :

1-التجربة العقلية :الوظيفية منج تحليل عقلي يعتمد على ملكة التفكير و التخيل العلمي لدى الباحث الذي يشترط فيه امتلاكه القدرة على التوقع و التقدير عقليا ما يمكن حدوثه في المجتمع في حالة الاختلال الوظيفي أو الأداء الوظيفي الجيد للأنساق الاجتماعية .

2-المقارنة :و تتم في التحليل الوظيفي على مستويين ؛على المستوى الكيفي بمقارنة التغيرات الكيفية على مستوى الخصائص و المميزات ،على المستوى الكمي باتخاذ المقاييس و المقادير الكمية في عملية المقارنة.

3-ملاحظة و تحليل النتائج المترتبة :هدا الاجراء المنهجي مهم في التحليل الوظيفي من خلال تتبع و ملاحظة الاضطرابات و الاختلالات على مستوى الابنية الاجتماعية والبحث في أصلها و تاريخها وما يترتب عنها من نتائج **(ابراش، 2008)**.

3-3: نسق التفسير الوظيفي :

يستند التحليل الوظيفي **(fonctionnalisme)** إلى فكرة الكل الذي يتألف من أجزاء و يقوم كل واحد من هده الأجزاء بأداء وظيفته بالاعتماد على أداء وظائف غيره من الاجزاء،ثم يقوم التساند الوظيفي الوظيفي فيما بين الأجزاء أو بين مجموع الأجزاء و النسق الكلي ؛ ووفق هدا المعنى تكون الظواهر في مجتمع ما محددة بمجموع الظواهر الأخرى و بالعلاقات بينها و بين الظواهر الأخرى **(عبد الغني، 2016)**.

و تهتم المدرسة الوظيفية في العلوم الانسانية و الاجتماعية بتفسير المواضيع التي تشمل و تغطي قطاعات واسعة من المجتمع و التي لها امتدادات عميقة في حياة الأفراد كالعقائد و المعتقدات و العديد من الممارسات و المظاهر السلوكية في المجتمعات كأنساق الضبط الاجتماعي نظام القيم و المعايير بمعنى آخر هي لا تبدأ بتفسير جزئيات المجتمع بقدر ما تهتم بالكليات على اعتبارها أنظمة اجتماعية شاملة لهدا لا تستخدم التفسيرات السببية .

بل تدرس الظواهر وظيفيا من خلال توضيح مكوناتها العامة للوصول إلى جزئياتها حيث تدرس البناء و المؤسسات و الانظمة و الأنساق و الفعل الاجتماعي و الوظائف و التنظيمات المختلفة .

كما تستخدم مقولات و مفاهيم ومفاتيح اصطلاحية خاصة بها كالنسق،التوازن ،التساند ،التكيف ،الامتثال تقسم العمل ،و غيرها من المفاهيم المعبرة عن النزعة المحافظة للمدرسة الوظيفية بحيث أنها من النادر أن تستخدم الصراع كمدخل للتحليل باعتباره حالة ظرفية و طارئة في الحياة الاجتماعية و تستبدله بمدخل التنافس و التطور لتفسير تغير و تطور النظام الاجتماعي؛التحليل الوظيفي لا يستخدم الفرد كوحدة أساسية في تفسير و تعليل مواضيع البحث و الدراسة و يستعين في ذلك بالطرق و الأساليب الاحصائية في وصف و تفسير الظواهر و مواضيع البحث و البرهنة عليها **(معن، 1983)**.

التحليل الوظيفي لا يقف عند وصف وحدات الدراسة بل يتجاوز ذلك حسب منظري المدرسة الوظيفية إلى توضيح مكونات الظاهرة المدروسة و علاقاتها ببعضها البعض و تأثير الظروف المحيطة بها ووضع التنبؤات و السيناريوهات المستقبلية لها .

المسلمة الرئيسية للمدرسة الوظيفية هي النظر إلى المجتمع على أنه كل منظم ،تفسر مختلف عناصره بالوظيفة التي تؤديها فيه ،انطلاقا من هده المسلمة يتميز نسق التفسير في هده المدرسة ببحث الطريقة التي تؤثر بها بعض الظواهر في سير النظام الاجتماعي و لشرح ذلك نورد المثال التالي:

الاتصال الجماهيري (Communication de masse) كظاهرة ملائمة للتحليل الوظيفي:

التحليل الوظيفي للإتصال الجماهيري يتم من خلال دراسة الاستخدامات المستعملة من طرف الجمهور لوسائل الاتصال الجماهيري(Médias de masse) و معاينة مدى الرضى المتحقق منها أو من استخدامها .

-اهتمام الباحث هنا ينصب على استعمال الناس لهده الوسائل أكثر من الاهتمام بتأثيرها عليهم.

-اعتمد هدا المنظور خلال ستينيات القرن الماضي في العديد من الدراسات حول نظرية الاستعمالات و الرضا.

-تساءل الباحثون وفق هده المقاربة (الوظيفية) حول سلوك الأفراد قبل تعرضهم إلى وسائل الاتصال و بعده.

-عملوا على اكتشاف المجموعات التي تستهلك محتوى اعلامي محدد ثم أرادوا معرفة حقيقة استهلاكهم لتلك المحتويات الاعلامية

النتائج التي تم التوصل إليها ازاحت المقاربة السلوكية المبنية على (التأثير و الاستجابة)و تم تعويض ذلك بمقاربة جديدة لتأثير وسائل الاتصال حيث تم التوصل إلى أن المضامين و محتويات الرسائل الاتصالية لا تؤثر في المتلقي إلا إذا كان هدا الأخير لديه قابلية لتقبلها بمعنى آخر توصل الباحثون إلى ضرورة دراسة الانتظارات و طلبات ورغبات الجمهور ا تجاه الوسائل الاتصالية .

ما يمكن استنتاجه من هدا التحليل الوظيفي لوسائل الاتصال الجماهيري أنها تتضمن وظائف ظاهرة و أخرى خفية أو مضمرة :

وظائف ظاهرة :الترفيه ،التسلية ،الاعلام ،التنفيس و الترويح، تدعيم القيم و نشر الوعي ..... .إلخ.

كما يمكن لوسائل الاتصال أن تؤدي إلى اختلالات نسقية(متعلقة بالنظام الاجتماعي)ظاهرة و خفية كتسببها في الخمول و البلادة (الغباء)،البدانة ،الشراهة الاستهلاكية ،صناعة الخوف ،زيادة الخضوع الاجتماعي و اضعاف روح النقد ،التطبيع ،انتشار العنف و مظاهره و الانفلات من الظوابط الاجتماعية و الاخلاقية ،....إلخ بعد هدا التحليل يتم التحقق عن طريق مناهج و تقنيات من حقيقة آثار هده الوظائف و الاختلالات الوظيفية على الافراد و المجتمع **(لارامي و فالي، 2004)**.

قائمة المراجع

Rivière, c. (2013). *Introduction à l'anthropologie* (éd. 1). paris: Hachette .

Wikipédia. (2020, avril 3). *Fonctionnalisme (sciences sociales)*. Consulté le3 avril, 2020, sur https://fr.wikipedia.org/wiki/Fonctionnalisme_(sciences_sociales)

ابراهيم ابراش. (2008). *المنهج العلمي و تطبيقاته في العلوم الاجتماعية* (ط1). عمان: دار الشروق للتوزيع و النشر.

ابراهيم عيسى عثمان. (2008). *النظرية المعاصرة في علم الاجتماع* (ط 1). عمان، الاردن: دار الشروق.

آلان لارامي، و برناد فالي. (2004). *البحث في الاتصال عناصر منهجية* (ط 1). (ترجمة:فضيل دليو، ميلود سفاري، مولود سعادة، كعباش رابح، و حليمة بوشاقور) قسنطينة: مخبر علم الاجتماع الاتصال للبحث و الترجمة.

خليل عمر معن. (1983). *الموضوعية و التحليل في البحث الاجتماعي* (ط 1). بيروت: دار الآفاق الجديدة.

ريمون بودون، و فرانسوا بوريكو. (1986). *المهجم النقدي في علم الاجتماع* (ط 1). (ترجمة:سليم حداد) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

صيام شحاتة. (2008). *النظرية الاجتماعية* (ط1). القاهرة: مصر العربية للنشر و التاوزيع.

عماد عبد الغني. (2016). *علم الاجتماع و البحث العلمي -الاشكالية -المنهج -المقاربات* (ط 1). بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة و النشر.

مصطفى خلف عبد الجواد. (2009). *نظرية علم الاجتماع المعاصر* (ط 1). عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر و التوزيع.

ميشيل تومبسون، ريتشارد إليس، و آرون فيلدافسكي. (1997). *نظرية الثقافة* (ط 1). (ترجمة:علي سيد الصاوي، و الفاروق زكي يونس،) الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.